بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه .

أما بعد : قال الأستاذ محمود محمد شاكر رحمه الله تعالى[1]:

حسب امرئ مسلم لله أن يبلغه قول رسول الله ﷺ : « لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي ؛ فوالذي نفسي بيده ، لو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهباً؛ ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه » (رواه البخاري (٣٦٧٣) ومسلم (٢٥٤٠)) ؛ حتى يخشع لرب العالمين ، ويسمع لنبي الله ويطيع ، فَيَكُفَّ غَرْب[2] لسانه وضراوة فكره عن أصحاب محمد ﷺ ، ثم يعلم علماً لا يشوبه شكّ ولا ريبة : أن لا سبيل لأحد من أهل الأرض – ماضيهم وحاضرهم – أن يلحق أقل أصحابه درجة ، مهما جهد في عبادته ، ومهما تورع في دينه، ومهما أخلص قلبه من خواطر السوء في سره وعلانيته ، ومن أين يشك وكيف يطمع ورسول الله لا ينطق عن الهوى ، ولا يداهن في دين، ولا يأمر الناس بما يعلم أن الحق في خلافه ، ولا يحدث بخبر ولا ينعت أحداً بصفة؛ إلا بما علمه ربه وبما نبأه ؟!

وربه الذي يقول له ولأصحابه : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ٣٣ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٤ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٣٥ ﴾ [الزمر: ٣٣ – ٣٥] ، ثم يبين ﷺ كتاب ربه، فيقول: « خير الناس قرني، ثم الذي يلوهم، ثم الذي يلوهم، ثم يجيء قومُ تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته »(البخاري (٣٦٥١) ومسلم (٢٥٣٣)) ، ثم يزيد الأمر بيانا ﷺ ، فيدل المؤمنين على المترلة التي أنزلها الله أصحابَ محمد رسول الله ، فيقول : « يأتي على الناس زمانٌ، فيغزو فئامٌ من الناس فيقولون: فيكم مَن صاحب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون: نعم! فيفتح لهم. ثم يأتي على الناس زمانٌ فيغزو فئامٌ من الناس فيقال: هل فيكم من صاحبَ أصحاب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون: نعم! فيفتح لهم. ثم يأتي على الناس زمانٌ فيغزو فِئَامٌ من الناس فيقال: هل فيكم من صاحبَ مَن صاحب أصحابَ رسول الله ﷺ ؟ فيقولون: نعم! فيفتح لهم".»(صحيح مسلم (٢٥٣٢)).فإذا كان هذا مبلغ صحبة رسول الله ﷺ ؛ فأي مسلم يطيق بعد هذا أن يبسط لسانه في أحد من صحابة محمد رسول الله ؟! وبأي لسان يعتذر يوم يخاصمه بين يدي ربهم؟! وما يقول وقد قامت عليه الحجة من كتاب الله ومن خبر نبيه ؟! وأين يفر امرؤ يومئذ من عذاب ربه ؟!

(١) مجلة المسلمون (العدد الثالث، سنة ١٣٧١هـ).

(٢) غرب اللسان: حَدُّه.

وليس معنى هذا أن أصحاب محمد رسول الله ﷺ معصومون عصمة الأنبياء، ولا أهم لم يخطئوا قط ولم يسيئوا؛ فهم لم يدّعوا هذا، وليس يدّعيه أحد لهم، فهم يخطئون ويصيبون، ولكن الله فضلهم بصحبة رسوله، فتأدبوا بما أدبهم به، وحرصوا على أن يأتوا من الحق ما استطاعوا، وذلك حسبهم، وهو الذي أمروا به، وكانوا بعدُ توابين أوابين، كما وصفهم في محكم كتابه، فإذا أخطأ أحدهم، فليس يحل لهم ولا لأحد ممن بعدهم أن يجعل الخطأ ذريعة إلى سبهم والطعن عليهم، هذا مجمل ما أدبنا به الله ورسوله ، بيد أن هذا المجمل أصبح مجهولاً مطروحاً عند أكثر من يتصدى لكتابة تاريخ الإسلام من أهل زماننا، فإذا قرأ أحدهم شيئاً فيه مطعن على رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ، سارع إلى التوغل في الطعن والسب بلا تقوى ولا ورع، كلا، بل تراهم يحيط بها من الريب والشكوك، ومن الأسباب الداعية إلى الكذب في الأخبار، ومن العلل الدافعة إلى وضع الأحاديث المكذوبة على هؤلاء الصحابة.

ولن أضرب المثل بما يكتبه المستشرقون ومن لف لفهم؛ فهم كما نعلم، ولا بأهل الزيغ والضلال والضغينة على أهل الإسلام ؛ كصاحب كتاب (الفتنة الكبرى)[1] وأشباهه من المؤلفين بل سآتيك بالمثل من كلام بعض المتحمسين[2] لدين ربهم ، المعلنين بالذب عنه والجهاد في سبيله ، وأن سمة الحضارة الوثنية الأوروبية، تنفجر أحياناً – في قلب من لم يحذر ولم يتق – بكل ضغائن القرن العشرين، وبأسوأ سخائم هذه الحضارة المعتدية لحدود الله، التي كتب على عباده – مسلمهم وكفارهم – أن لا يتعدوها.

أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ ، هم : أبو سفيان بن حرب ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وعمرو بن العاص ، وهند بنت عتبة بن ربيعة ؛ أم معاوية رضي الله عنهم ، كيف يتكلم أحد الناس عنهم ؟!

١ – « فلما جاء معاوية ، وصير الخلافة الإسلامية ملكاً عضوضاً في بني أمية؛ لم يكن ذلك من وحي الإسلام، إنما كان من وحي الجاهلية » ، ولم يكتف بهذا، بل شمل بني أمية جميعاً، فقال : « فأمية بصفة عامة لم يعمر الإيمان قلوبهم، وما كان الإسلام لها إلا رداء تخلعه وتلبسه حسب المصالح والملابسات ».

٢ – ثم يذكر يزيد بن معاوية بأسوأ الذكر، ثم يقول:« وهذا هوالخليفة الذي يفرضه معاوية على الناس، مدفوعاً إلى ذلك بدافع لا يعرفه الإسلام، دافع العصبية العائلية القبلية ، وما هي بكثيرة على معاوية ولا بغريبة عليه ؛ فمعاوية هو ابن أبي سفيان

(١) لطه حسين .

(٢) يعني سيد قطب في كتابه "العدالة الإجتماعية".

وابن هند بنت عتبة ، وهو وريث قومه جميعاً، وأشبه شيء بهم في بعد روحه عن حقيقة الإسلام ؛ فلا يأخذ أحد الإسلام بمعاوية أو بني أمية ؛ فهو منه ومنهم بريء ».

٣ – « ولسنا ننكر على معاوية في سياسة الحكم ابتداعه نظام الوراثة وقهر الناس عليها فحسب ، إنما ننكر عليه أولاً وقبل كل شيء إقصاءه العنصر الأخلاقي في صراعه مع علي وفي سيرته في الحكم بعد ذلك إقصاءً كاملاً لأول مرة في تاريخ الإسلام ... فكانت جريمة معاوية الأولى التي حكمت روح الإسلام في أوائل عهده هي نفي العنصر الأخلاقي من سياسته نفياً باتاً، ومما ضاعف الجريمة أن هذه الكارثة باكرت الإسلام ولم تنقض إلا ثلاثون سنة على سننه الرفيعة .. ولكي ندرك عمق هذه الحقيقة يجب أن نستعرض صوراً من سياسة الحكم في العهود المختلفة على أيدي ابي بكر وعمر، وعلى أيدي عثمان ومروان ... ثم على أيدي الملوك من أمية ... ومن بعدهم من بني العباس، بعد أن خُنقت روح الإسلام خنقاً على أيدي معاوية وبني أمية ».

٤ – « ومضى علي إلى رحمة ربه ، وجاء معاوية بن هند وبن ابي سفيان ».

وأنا استغفر الله من نقل هذا الكلام ، بمثل هذه العبارة النابية ؛ فإنه أبشع ما رأيته.

ثم يقول : « فلئن كان إيمان عثمان وورعه ورقته كانت تقف حاجزاً أمام أمية .. لقد انهار هذا الحاجز، وانساح ذلك السد، وارتدت أمية طليقة حرة إلى وراثاتها في الجاهلية والإسلام، وجاء معاوية تعاونه العصبة التي على شاكلته، وعلى رأسها عمرو بن العاص، قوم تجمعهم المطامع والمآرب، وتدفعهم المطامح والرغائب، ولا يمسكهم خلق ولا دين ولا ضمير ».

وأنا أستغفر الله وأبرأ إليه . ثم قال : « ولا حاجة بنا للحديث عن معاوية ؛ فنحن لا نؤرخ له هنا، وبحسبنا تصرفه في توريث يزيد الملك لنعلم أي رجل هو، ثم بحسبنا سيرة يزيد لنقدر أية جريمة كانت تعيش في أسلاخ أمية على الإسلام والمسلمين ».

٥ – ثم ينقل خطبة يزعم أنها لمعاوية في أهل الكوفة بعد الصلح ، يجيء فيها قول معاوية: « وكل شرط شرطته ؛ فتحت قدمي هاتين ».

ثم يعقب عليه مستدركاً : « والله تعالى يقول: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ٣٤ ﴾ [الإسراء:٣٤]. والله يقول : ﴿ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ ﴾ [الأنفال: ٧٢]. فيؤثر الوفاء بالميثاق للمشركين المعاهدين على نصرة المسلمين لإخوانهم في الدين ، أما معاوية ؛ فيخيس بعهده للمسلمين ،

ويجهر بهذه الكبيرة جهرة المتبجحين، إنه من أمية، التي أبت نحيزتها أن تدخل في حلف الفضول ».

٦ – ثم يذكر خطبة أخرى لمعاوية في أهل المدينة : « أما بعد ؛ فإني والله ما وليتها بمحبة علمتها منكم » ثم يعلق عليها فيقول : « أجل، ما وليها بمحبة منهم، وإنه ليعلم أن الخلافة بيعة الرضى في دين الإسلام ، ولكن ما لمعاوية وهذا الإسلام ، وهو ابن هند وابن ابي سفيان؟! ».

٧ – وأما معاوية بعد علي ؛ فقد سار سياسة المال سيرته التي ينتفي منها العنصر الأخلاقي، فجعله للرُّشى واللهى وشراء الأمم[1] في البيعة ليزيد ، وما أشبه هذه الأغراض ، بجانب مطالب الدولة والأجناد والفتوح بطبيعة الحال ».

٨ – ثم قال شاملاً لبني أمية : « هذا هو الإسلام، على الرغم ما اعترض خطواته العملية الأولى من غلبة أسرة لم تعمر روح الإسلام نفوسها ؛ فأمنت على حرف حين غلب الإسلام، وظلت تحلم بالملك الموروث العضوض حتى نالته، فسارت بالأمر سيرة لا يعرفها الإسلام ». هذا ما جاء في ذكر معاوية ، وما أضفى الكاتب من ذيوله على بني أمية وعلى عمرو بن العاص ، وأما ما جاء عن أبي سفيان بن حرب ؛ فانظر ماذا يقول :

٩ – « أبو سفيان هو ذلك الرجل الذي لقي الإسلام منه والمسلمون ما حفلت به صفحات التاريخ ، والذي لم يسلم إلا وقد تقررت غلبة الإسلام ؛ فهو إسلام الشفة واللسان ، لا إيمان القلب والوجدان ، وما نفذ الإسلام إلى قلب ذلك الرجل ؛ فلقد ظل يتمنى هزيمة المسلمين ويستبشر لها في يوم حنين ، وفي قتال المسلمين والروم فيما بعد، بينما يتظاهر بالإسلام، ولقد ظلت العصبية الجاهلية تسيطر على فؤاده .. وقد كان سفيان يحقد على الإسلام والمسلمين، فما تعرض فرصة للفتنة إلا انتهزها ».

١٠ – « ولقد كان أبو سفيان يحلم بملك وراثي في بني أمية منذ تولى الخلافة عثمان؛ فهو يقول : « يا بني أمية ... تلقفوها تلقف الكرة ؛ فو الذي يحلف به أبو سفيان؛ ما زلت أرجوها لكم، ولتصيرن إلى صبيانكم وراثة ! »، وما كان يتصور حكم المسلمين إلا ملكاً، حتى أيام محمد ، – وأظن أنا أنه من الأدب أن أقول: ﷺ – فقد وقف ينظر إلى جيوش الإسلام يوم فتح مكة ، ويقول للعباس بن عبد المطلب :« والله يا أبا الفضل ؛ لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيماً »، فلما قال له العباس : إنها النبوة ، قال : نعم إذن! ...» نعم إذن! وإنها لكلمة يسمعها بأذنه فلا يفقهها قلبه ، فما كان مثل هذا القلب ليفقه إلا معنى الملك والسلطان ».

(١) كذا ولعله الذمم ..

ثم يقول عن هند بن عتبة أم معاوية :

١٠ – « ذلك أبو معاوية ، فأما أمه هند بنت عتبة، فهي تلك التي وقفت يوم أحد تلغ في الدم إذ تنهش كبد حمزة كاللبؤة المتوحشة ، لا يشفع لها في هذه الفعلة الشنيعة حق الثأر على حمزة ؛ فقد كان قد مات، وهي التي وقفت بعد إسلام زوجها كرها بعد إذ تقررت غلبة الإسلام تصيح : « اقتلوا الخبيث الدنس الذي لا خير فيه ، قبح من طليعة قوم ، هلا قاتلتم ودفعتم عن أنفسكم وبلادكم ؟ ».

هؤلاء أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ ،يذكرهم كاتب مسلم بمثل هذه العبارات الغريبة النابية ، بل زاد ، فلم يعصم كثرة بني أمية من قلمه، فطرح عليهم كل ما استطاع من صفات تجعلهم جملة واحدة براء من دين الله ، ينافقون في إسلامهم، وينفون من حياتهم كل عنصر أخلاقي – كما سماه –، وأنا لن أناقش الأن هذا المنهج التاريخي ؛ فإن كل مدع يستطيع أن يقول : هذا منهجي، وهذه دراستي !! بل غاية ما أنا فاعل أن أنظر كيف كان أهل هذا الدين ينظرون إلى هؤلاء الأربعة بأعيانهم، وكيف كانوا – هؤلاء الأربعة – عند من عاصرهم ومن جاء بعدهم من أئمة المسلمين وعلمائهم ، وأيضا ، فإني لن أحقق هذه الكلمة فساد ما بُني عليه الحكم التاريخي العجيب ، الذي استحدثه لنا هذا الكاتب ، بل أدعه إلى حينه :

– فمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أسلم عام القضية ، ولقي رسول الله ﷺ مسلماً، وكتم إسلامه عن أبيه وأمه ، ولما جاءت الردة الكبرى؛ خرج معاوية في هذه القلة المؤمنة التي قاتلت المرتدين، فلما استقر أمر الإسلام، وسير أبو بكر الجيوش إلى الشام؛ سار معاوية مع أخيه يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه، فلما مات يزيد في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ قال لأبي سفيان رضي الله عنه : أحسن الله عزاءك في يزيد. فقال أبوسفيان : من وليت مكانه ؟ قال: أخاه معاوية. قال: وصلتك رحم يا أمير المؤمنين. وبقي معاوية والياً لعمر على عمل دمشق، ثم ولاه عثمان الشام كلها، حتى جاءت فتنة مقتل عثمان، فولي معاوية دم عثمان لقرابته، ثم كان بينه وبين علي ما كان. ويروي البخاري (٥/ ٢٨) أن معاوية أوتر بعد العشاء بركعة، وعنده مولى لابن عباس، فأتى ابن عباس، فقال: دعه ؛ فإنه صحب رسول الله ﷺ . وقال في خبر آخر: هل لك في أمير المؤمنين معاوية ؛ فإنه أوتر بواحدة ؟ فقال ابن عباس: إنه فقيه ، وروى أحمد في ((مسند)) (٤/ ١٠٢) عن مجاهد وعطاء عن ابن عباس : أن معاوية أخبره أن رسول الله ﷺ قصر شعره بمشقص[1] فقلت لابن عباس : ما بلغنا هذا الأمر إلا عن معاوية ! فقال : ما كان معاوية على رسول الله ﷺ متهماً.

(١) المشقص : نصل طويل عريض (المقص).

وعن ابي الدرداء : ما رأيت أحداً بعد رسول الله ﷺ أشبه صلاة برسول الله ﷺ من أميركم هذا (يعني معاوية). مجمع الزوائد (٩/ ٣٥٧). وروى أحمد في ((مسنده)) (٤/ ١٠١) عن أبي أمية عمرو بن يحيى ابن سعيد عن جده : أن معاوية أخذ الإداوة[1] بعد أبي هريرة يتبع رسول الله ﷺ بها، واشتكى أبو هريرة، فبينا هو يوضئ رسول الله ﷺ ؛ رفع رأسه إليه مرة أو مرتين ، فقال : « يا معاوية ! إن وليت أمراً؛ فاتق الله ﷻ واعدل ». قال معاوية : فما زلت أظن أني مبتلى بعمل لقول النبي ﷺ حتى ابتليت. وروى أحمد في مسنده (٤/ ١٢٧) عن العرباض بن سارية السلمي؛ قال: سمعت رسول الله وهو يدعونا إلى السحور في شهر رمضان :« هلموا إلى الغداء المبارك » ثم سمعته يقول :« اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب ». وروى أحمد في مسنده (٤/ ٢١٦) عن عبد الرحمن ابن أبي عميرة عن النبي ﷺ ؛ أنه ذكر معاوية، فقال: « اللهم اجعله هادياً مهدياً، واهد به » ، هذا بعض ما قيل في معاوية رضي الله عنه ، وفي دينه وإسلامه ، فإن كان هذا الكاتب قد عرف واستيقن أن الروايات المتلقفة من أطراف الكتب تنقض هذا نقضاً، حتى يقول : إن الإسلام بريء منه! فهو وما عرف!!.

وإن كان يعلم أنه أحسن نظراً ومعرفة بقريش من أبي بكر حين ولّي يزيد بن أبي سفيان، وهو من بني أمية، وأنفذ بصراً من عمر حين ولي معاوية ؛ فهو وما علم!! وإن كان يعلم أن معاوية لم يقاتل في حروب الردة إلا وهو يضمر النفاق والغدر؛ فله ما علم !! وإن كان يرى ما هو أعظم من ذلك؛ أنه أعرف بصحابة رسول الله ﷺ من رسول الله الذي كان يأتيه الخبر من السماء بأسماء المنافقين بأعيانهم؛ فذلك ما أعيذه منه أن يعتقده أو يقوله !! ولكن لينظر فرق ما بين كلامه وكلام أصحاب رسول الله عن رجل آخر من أصحابه، ثم ليقطع لنفسه ما شاء من رحمة الله أو من عذابه، ولينظر أيهما أقوى برهاناً في الرواية، هذا الذي حدثنا به أئمة ديننا، أم ما انضمت عليه دفتا كتاب من عرض كتب التاريخ كما يزعمون، ولينظر لنفسه حتى يرجح رواية على رواية وحديثاً على حديث وخبراً على خبر، وليعلم أن الله تعالى أدب المسلمين أدباً لم يزالوا عليه منذ كانت لدين الله الغلبة حتى ضرب الله على أهل الإسلام الذلة بمعاصيهم وخروجهم عن حد دينهم واتباعهم الأمم في أخلاقها وفي فكرها وفي تصورها للحياة الإنسانية. يقول ربنا سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾ [الحجرات:٦] و يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ ﴾ [الحجرات: ١٢]ويقول: ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦ ﴾ [الإسراء: ٣٦].

(١) الإداوة : إناء من جلد صغير كالقربة.

ولينظر أنّى له أن يعرف أن معاوية كان يعمل « بوحي الجاهلية لا الإسلام »، وأنه بعيد الروح عن حقيقة الإسلام، وأن الإسلام لم يَعمُر قلبه، وأنه خنق روح الإسلام هو وبنو أبيه، وأنه هو وعمرو بن العاص ومن على شاكلتهم، لا يمسكهم خُلق ولا دين ولا ضمير، وأن في أسلاخ معاوية وبنى أمية جريمة أي جريمة على الإسلام والمسلمين، وأنه يخيس بالعَهد ويجهر بالكبيرة جهرة المتبجحين، وأنه ما لمعاوية وهذا الإسلام؟ وأنه ينفي العنصر الأخلاقى من سيرته ويجعل مال الله للرشى واللهي وشراء الذمم، وأنه هو وبنو أمية آمنوا على حرف حين غَلب الإسلام.

– أما أبو سفيان رضي الله عنه، فقد أسلم ليلة الفتح، وأعطاه رسول الله من غنائم حنين كما أعطى سائر المؤلفة قلوبهم فقال له: والله إنك لكريم فداك أبي وأمى، والله لقد حاربتك فلنعم المحارب كنت، ولقد سالمتك فنعم المسالم أنت، جزاك الله خيرًا. ثم شهد الطائف مع رسول الله، وفقئت عينه في القتال، ولاه رسول الله ﷺ نجران، ورسول الله لا يولى منافقًا على المسلمين ، وشهد اليرموك، وكان هو الذي يحرض الناس ويحثهم على القتال. وقد ذكر الكاتب فيما استدلّ به على إبطان أبي سفيان النفاق والكفر أنه كان يستبشر بهزيمة المسلمين في يوم حنين ، وفي قتال المسلمين والروم فيما بعد، وهذا باطل مكذوب. وسأذكر بعد تفصيل ذلك. أما قول أبي سفيان للعباس « لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيما ! » فقال العباس إنها النبوة! فقال أبو سفيان: فنعم إذن. فهذا خبر طويل في فتح مكة، قبل إسلامه، وكانت هذه الكلمة "نعم إذن" أول إيذان باستجابته لداعى الله، فأسلم رضي الله عنه وليست كما أولها الكاتب:« نعم إذن. وإنها كلمة يسمعها بأذنه فلا يفقهها قلبه، فما كان مثل هذا القلب ليفقه إلا معنى الملك والسلطان »، إلّا أن يكون الله كشف له ما لم يكشف للعباس ولا لأبى بكر ولا لعمر، ولا لأصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار. وأعوذ بالله من أن أقول ما لم يكشف لرسول الله ونبيه ﷺ ، وعن ابن عباس أن أبا سفيان قال :« يا رسول الله ثلاثًا أعطنيهنّ. قال: نعم قال: تؤمرنى حتى أقاتل الكفار كما قاتلتُ المسلمين. قال: نعم. قال : ومعاوية تجعلُه كاتبًا بين يديك. قال: نعم. وذكر الثالثة ، وهو أنه أراد أن يزوّج رسول الله ﷺ بابنته الأخرى عزّة بنت أبي سفيان، واستعان على ذلك بأختها أم حبيبة فقال : (إن ذلك لا يحلُّ لي) ».

– وأما هند بنت عتبة أم معاوية رضي الله عنهما، فقد روي عن عبد الله بن الزبير (ابن سعد:٨/ ١٧١)[1]؛ قال: لما كان يوم الفتح؛ أسلمت هند بن عتبة ونساء معها، وأتين رسول الله وهو بالأبطح ، فبايعنه ، فتكلمت هند، فقالت : يا رسول الله الحمد الله الذي أظهر الدين الذي اختاره لنفسه ، لتنفعني رحمك يا محمد، إني امرأة

(١) انظر: (٨/ ٢٣٦، طبعة دار صادر، ١٣٧٧).

مؤمنة بالله مصدقة برسوله ، ثم كشفت عن نقابها ، وقالت : أنا هند بنت عتبة ، فقال رسول الله : « مرحباً بك »، فقالت: والله ؛ ما كان على الأرض أهل خباء أحب إلي من أن يذلوا من خبائك، ولقد أصبحت وما على الأرض أهل خباء أحب إلي من أن يعزوا من خبائك ، فقال رسول الله : « وزيادة ». قال محمد بن عمر الواقدي : لما أسلمت هند ؛ جعلت تضرب صنماً في بيتها بالقدوم، حتى فلذته فلذة فلذة ، وهي تقول :كنا منك في غرور، وروى البخاري[1] هذا الخبر عن أم المؤمنين عائشة (٥/ ٤٠).

فهل يعلم عالم أن إسلام أبى سفيان وهند كان نفاقاً وكذباً وضغينة ؟ لا أدري، ولكن أئمتنا من أهل هذا الدين لم يطعنوا فيهم، وارتضاهم رسول الله ﷺ ، وارتضى إسلامهم، وأما ما كان من شأن الجاهلية ؛ فقل رجل وامرأة من المسلمين لم يكن له في جاهليته مثل ما فعل أبو سفيان أو شبيه بما يروى عن هند إن صح .

– وأما عمرو بن العاص؛ فقد أسلم عام خيبر، قدم مهاجراً إلى الله ورسوله، ثم أمره رسول الله ﷺ على سرية إلى ذات السلاسل يدعو بليّاً إلى الإسلام، ثم استعمله رسول الله على عمان، فلم يزل والياً عليها إلى أن توفي رسول الله ﷺ ، ثم أقره عليها أبو بكر رضي الله عنه ، ثم استعمله عمر، وروى الإمام أحمد في (مسنده) (٢/ ٣٢٧،٣٥٣، ٣٥٤) من حديث أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: « ابنا العاص مؤمنان »؛ يعني: هشاماً وعمراً، وروى الترمذي وأحمد في مسنده (٤/ ١٥٥) عن عقبة بن عامر الجهني : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص » وروى أحمد في مسنده (١/ ١٦١) عن طلحة بن عبيد الله ؛ قال : ألا أخبركم عن رسول الله بشيء ؟ ألا إني سمعته يقول :« عمرو بن العاص من صالحي قريش ، ونعم أهل البيت أبو عبد الله وأم عبد الله وعبد الله ». فإذا كان جهاد عمرو، وشهادة أصحاب رسول الله ﷺ له ، وتولية رسول الله ﷺ ثم أبى بكر ثم عمر؛ لا تدل على شيء من فضل عمرو بن العاص، ولا تدل على نفي النفاق في دين الله عنه ؛ فلا ندري بعد ما الذي ينفع عمراً في دنياه وآخرته ؟!

ولست أتصدى هنا لتزييف ما كتبه الكاتب من جهة التاريخ، ولا من جهة المنهاج، ولكني أردت – كما قلت – أن أبين أن الأصل في ديننا هو تقوى الله وتصديق خبر رسول الله ﷺ ، وأن أصحاب محمد ﷺ ليسوا لعانين ولا طعانين ولا أهل إفحاش ولا أصحاب جرأة وتهجم على غيب الضمائر، وأن هذا الذي كانوا عليه أصل لا يمكن الخروج منه ؛ لا بحجة التاريخ ، ولا بحجة النظر في أعمال السابقين للعبرة واتقاء ما وقعوا فيه من الخطأ.

(١) الظاهر أنه يقصد الخبر الأول الذي فيه: « ما كان على الأرض أهل خباء » الحديث ، انظر: خ (٤/ ٢١٧، رقم ٦٦٤١)، ط/ السلفية.

ولو صح كل ما يذكر مما اعتمد عليه الكاتب في تمييز صفات هؤلاء الأربعة وصفة بني أمية عامة ؛ لكان طريق أهل الإسلام أن يحملوه على الخطأ في الاجتهاد من الصحابي المخطيء، ولا يدفعهم داء العصر أن يوغلوا من أجل خبر أو خبرين في نفي الدين والخلق والضمير عن قوم هم لقرب زمانهم وصحبتهم لرسول الله ﷺ أولى أهل الإسلام بأن يعرفوا حق الله وحق رسوله، وأن يعلموا من دين الله ما لم يعلمه مجترئ عليهم طعان فيهم .

وأختم كلمتي هذه بقول النووي في شرح مسلم (١٦/ ٩٣) : « اعلم أن سب الصحابة رضي الله عنهم حرام من فواحش المحرمات ، سواء من لابس الفتن منهم وغيره؛ لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون، وقال القاضي : سب أحدهم من المعاصي الكبائر، ومذهبنا ومذهب الجمهور أن يعزر ولا يقتل، وقال بعض المالكية يقتل ».

وأسدي النصحية لمن كتب هذا وشبهه أن يبرأ إلى الله علانية مما كتب، وأن يتوب توبة المؤمنين مما فرط منه، وأن ينـــزه لسانه ويعصم نفسه ويطهر قلبه، وأن يدعو بدعاء أهل الإيمان : ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠ ﴾ [الحشر: ١٠].

من أجل هذا أقول : إن خلق الإسلام هو أصل كل منهاج في العلم والفهم ، سواء كان العلم تاريخاً أو أدباً أو اجتماعاً أو سياسة ، وإلا ؛ فنحن صائرون إلى الخروج عن هذا الدين ، وصائرون إلى تهديم ما بناه أصحاب رسول الله ﷺ ، وإلى جعل تاريخ الإسلام حشداً من الأكاذيب الملفقة والأهواء المتناقضة ، والعبث بكل شيء شريف ورثتنا إياه رحمة الله لهم ، وفتح الله عليهم ، ورضاه عن أعمالهم الصالحة ، ومغفرته لهم ما أساءوا رضي الله عنهم ، وغفر لهم وأثابهم بما جاهدوا وصبروا وعَلِموا وعلّموا ، وأستغفر الله وأتوب إليه .



لا تسبوا أصحابي

رواه البخاري ومسلم

العلامة
محمود محمد شاكر رحمه الله
(١٣٢٧-١٤١٨هـ)